# التعصب المسيحي ضد الإسلام في الأندلس
# حركة شهداء قرطبة نموذجاً

**الأستاذة هدى حسن النيهوم**
**أستاذ مساعد بقسم التاريخ**
**كلية الآداب – جامعة بنغازي**

## المستخلص

على الرغم من التسامح الكبير الذي أبداه العرب في تعاملهم مع نصارى الأندلس، فإنهم لم يركنوا إلى الهدوء، إذ كان لهم دورٌ ملموسٌ فيما شهده الأندلس من فتن وحروب دامية، وحركات مقاومة كانت تهدف إلى استعادة بلادهم، وطرد العرب منها، وحركة شهداء قرطبة، وهو الاسم المتداول لأحداث وقعت في قرطبة في منتصف القرن 3هـ/9م، دوَّنها قس كاثوليكي متعصب يُدعى أيولوجيو عن إعدام 44 مسيحيًّا، بعضهم من الرهبان والكهنة الكاثوليك في قرطبة، حركة لم يرد ذكرها في المصادر العربية أو المسيحية المعاصرة لتلك الفترة، ومصدرها الوحيد هو القس أيولوجيو الذي يرجح أنه قام بافتراء تلك الكتابات؛ بقصد تشويه صورة الإسلام في أعين مسيحي الأندلس، وللحد من انتشاره بين الإسبان. سنتحدث في هذا البحث عن نصارى أهل الذمة في الأندلس، وما تمتعوا به من حقوق وامتيازات، وما أثاروه من مشاكل في وجه الحكم الأموي في عصر الإمارة.

**الكلمات المفتاحية: التعصب المسيحي، الأندلس، الإسلام في الأندلس، شهداء قرطبة.**

## لمحة عامة عن أحوال نصارى أهل الذمة في الأندلس بعد الفتح:

كان المجتمع الأندلسي يتكون من مجموعة من العناصر؛ من: العرب، والبربر، والصقالبة، واليهود، بالإضافة إلى أهل البلاد الأصليين، الذين كانوا يمثلون الغالبية العظمى، وقد ظل الكثير منهم على ديانته، وعُرِفوا بالمُسْتَعْرِبِين Loz Mozarbes، بينما أُطلق على من اعتنق منهم الإسلام المسالمة، وعُرف أولادهم بالمولدين؛ بسبب أصولهم الإسبانية، وهناك –أيضًا– فئة من المولدين كانوا نتاج زواج (العرب والبربر) من الإسبانيات (أبو مصطفى، ط1997).

والمستعربون –وتعني "نصف عربي"– تسمية أطلقها نصارى الشمال على إخوانهم الذين عاشوا بين

ظهراني المسلمين وتعربت ألسنتهم وأزياؤهم (غوميز، 1992). وقد عُثِر على هذه التسمية في العقود والوثائق التي تعود إلى القرن 5هـ/11م عند الحديث عن المسيحيين الذين نزحوا من الأندلس إلى الشمال، وكذلك أُطلقت على من بقي من المسيحيين في المناطق الإسلامية التي استولى عليها المسيحيون (أرينال، ط 2006).

وكما يبدو فإن هذه التسمية لم تكن معروفة عند عرب الأندلس؛ فلا نجد لها صدىً في المصادر العربية القديمة، ولم يأت على ذكرها مطلقًا المؤرخون والجغرافيون والفقهاء والقضاة في سياق الحديث عن الجماعات المسيحية التي عاشت في ظل المسلمين، بل أُشير إليهم بأسماء أخرى مثل: (العجم، والأعلاج، وأهل الذمة، و"لمعاهدة، ونصارى الذمة)، وكثيرة هي النصوص التي تؤكد ذلك، وخاصة في مرحلة الفتح (92–95هـ)، حيث مُيِّزَ بين النصارى الذين قبلوا بالفتح والذين لم يقبلوا به، فكانت لفظة المعاهدة أو المعاهدين تُطلق على تلك الفئات من الإسبان التي فُتحت أراضيها صلحًا، وبموجب عهود ومواثيق مثل مرسيه "تدمير"، وماردة، وجليقية، أما المدن التي فُتحت عنوة؛ أي بالحرب والقتال، مثل: أستجه، وقرمونة، وإشبيلية فقد كان يُطلق على قاطنيها من الإسبان نصارى الذمة (ابن عذاري، 1986).

قد طبق المسلمون سياسة التسامح مع نصارى الذمة أو المُعاهدة، فَقُبلت منهم الجزية، وتُركت لهم أراضيهم يزرعونها، ويدفعون خراجها، وتمتع النصارى في المدن الأندلسية كلها بحقوقهم الإدارية والقضائية والدينية، وعاشوا جنبًا إلى جنب مع المسلمين رعايا للدولة في أحياء خاصة بهم، فكان لكل جماعة في أي مدينة رئيسٌ يحكمهم ويدير أمورهم الداخلية يُعرف بالقومس(*)، وهو منصب متوارث منذ أيام الرومان والقوط، ابقى عليه المسلمون مع تعديل في بعض سلطاته (نعنعي، (د.ت))، وكان أرطباس ابن الملك الإسباني غيطشة –أول قمامسة الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل (138–172هـ)، وكان قومس الأندلس القومس الأعلى للبلاد، وحق تعيينه في يد الأمير الأموي، أما قمامسة المدن الأخرى فكان اختيارهم عن طريق نصارى كل مدينة (سالم، 1962).

وكان لنصارى الذمة محاكمهم الخاصة، يتحاكمون أمامها بموجب قوانينهم القديمة (الرومانية والقوطية)، وكان لكل جماعة في أي مدينة أندلسية قاضٍ نصراني يفصل بينهم يُعرف **بقاضي العجم**، وكان القاضي **حفص**

---

(*) القومس: جمعها قواميس، كلمة لاتينية هي comes، وتعني نديم الملك في اللغات الأوربية، وأصبحت تعني حاكم منطقة تتمتع باستقلال تام أو محدود. ينظر: البكري، أبوعبيد (1968). جغرافية الأندلس وأوروبا منتخبة من كتاب المسالك والممالك. تحقيق عبد الرحمن الحجي. بيروت: دار الإرشاد، ص99.

**بن البر** –وهو من نسل وقلة بن غيطشة– أول قاضٍ للعجم في الأندلس (ابن القوطية، 1989).

ودينيًّا –من منطلق "**لا إكراه في الدين**"– ترك المسلمون لنصارى الأندلس حرية تامة في ممارسة شعائرهم الدينية، وأبقيت لهم قوانينهم، ونظمهم الكهنوتية، وكان رجال الدين يمارسون وظائفهم في كل ما يتعلق بالزواج، والميراث، وتعميد المواليد، وتوثيق العقود بينهم، وكان للنصارى الحق في اختيار أساقفتهم دون تدخل من الدولة، ولكن أمراء قرطبة احتفظوا لأنفسهم بحق اختيار المطران –رئيس الأساقفة– وحق الموافقة على دعوة المجامع الدينية للانعقاد (نعنعي، (د.ت)).

قد احتفظ النصارى بكنائسهم في كل المدن الأندلسية، وبصورة خاصة في المدن الكبرى؛ مثل: **طليطلة، وقرطبة، وإشبيلية**، ولم يستول عليها العرب إلا في بعض الحالات الاستثنائية التي حدث فيها اقتسام بعض الكنائس بينهم وبين النصارى؛ من أجل إقامة مساجد، مثل مسجد **رفينه** الذي أقيم في جزءٍ من كنيسة سانتا رفينه في إشبيلية، ومثل **جامع قرطبة** الذي أُقيم في شطر من كنيسة سانت بنجنت (دويدار، 1994).

كان نصارى الذمة يشكلون غالبية سكان البلاد في السنوات الأولى التي تلت الفتح، ولكن أعدادهم أخذت في التناقص تدريجيًّا بدخولهم إلى الإسلام، فأخذ عدد المسالمة يزيد يومًا بعد يوم، وقد عبر **بروفنسال** عن ذلك بقوله: "أخذ دخولهم في دين الفاتحين يتزايد، يدخلون بمحض إرادتهم في أغلب الأحيان، أو طمعًا في التخلص من الجزية والاستفادة من ظروف مادية أفضل". (حضارة العرب، (د.ت)، ص16–17).

وقد ساعدت **المصاهرة** في التقريب ين الفاتحين وسكان البلاد الأصليين، وكانت غالبية جيوش الفتح (عرب وبربر) قد دخلوا إسبانيا جنودًا مقاتلين، ولم يصطحبوا معهم عائلاتهم إلا في بعض الحالات الاستثنائية، وقد جرت المصاهرة منذ السنوات الأولى التي تلت الفتح، ومن أمثلة ذلك زواج عبد العزيز بن موسى بن نصير من أجيلون أرملة رذريك ملك القوط، وزواج عثمان بن أبي نسعة الخثعمي من لامبيجي ابنة دوق أكتانيا، وزواج زياد بن النابغة التميمي بأميرة قوطية، وزواج عيسى بن مزاحم من سارة بنت المند حفيدة الملك القوطي غيطشة (ابن القوطية، 1989، ابن عذاري 1983، برفنسال (د.ت)).

كذلك كانت الحروب التي خاضها العرب في الأندلس مَعينًا لا ينضب من السبايا الحِسان اللواتي دخلن بلا استئذان قلوب الكثير من الفاتحين، خاصة وأن التسري بالجواري كانت تبيحه الشريعة الإسلامية، وبالتالي امتلأت بيوت الأندلسيين وقصورهم بهن، وأصبح معظم أمهات الجيل الثاني في الأندلس إسبانيات **(جواري**

**وحرائر)**، وفضل مسلمو الأجيال التالية اتخاذ أمهات أولادهم من الأسيرات الشقراوات على أن يتخذونهن من بنات جنسهم؛ مما جعل الناس يحرصون على تجهيز بناتهم بكل غالٍ ونفيس؛ ترغيبًا بهن على حد تعبير المراكشي (المعجب، 1949)، ويؤكد ابن حزم في طوقه على تفضيل أمراء الأسرة الأموية وخلفائها للشقراوات، فيقول: "وأما جماعة بني أمية... ولا سيما ولد الناصر، فكلهم مجبولون على تفضيل الشقرة... فما منهم إلا أشقر نزاعًا إلى أمهاتهم، حتى صار ذلك منهم خلقة" (طوق الحمامة، ط1949، ص38).

وهكذا فقد كان الزواج بالإسبانيات والتسري بهن أجمل صلة لتمازج الفاتحين بسكان البلاد المفتوحة، وقد ساعد تعلم **اللغة العربية** على تعميق الصلات بين الطرفين، حيث يلاحظ أن الإسبان أقبلوا بشغف على تعلم العربية؛ لأنها باتت السبيل الوحيد للتفاهم والتعامل مع ساسة البلاد الجدد، ويُشار إلى أن الأمير هشامًا (172–180هـ) أصدر قرارًا بجعل اللغة العربية لغة التدريس في مدارس اليهود والنصارى، فكان لهذا الإجراء أثره على انتشار اللغة العربية بشكل كبير بين النصارى، والتقريب بين أصحاب الديانات المختلفة، كذلك ساعد –بشكل ملحوظ– على ازدياد أعداد المسالمة من الإسبان، بعد أن وقفوا على قواعد الإسلام وأصوله (الهروس، ط1997).

ولم يكد القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ينتهي إلا وتميزت الفئة المستعربة في الأندلس عن إسبان الشمال في إتقان اللغة العربية والكتابة بها، وفي تقليد العرب في عاداتهم وتقاليدهم، فكان منهم من يختن أولاده على عادة المسلمين، أو يتخذ الحريم في داره، أو يمتنع عن أكل لحم الخنزير (الحجي، ط1969). بل بالغ البعض في استعرابهم حتى أصبحوا يحملون اسمين: عربي ولاتيني، يُعرف بالعربي في الأوساط العامة، ويستعمل اللاتيني في الكنيسة، وفي الحالات الرسمية كالمثول أمام القضاء (النعنعي، (د.ت)).

وليس أدل على هذا الاستغراق في الاستعراب من صيحة الألم التي أطلقها القس ألفارو في منتصف القرن 3هـ/9م، عندما استنكر في كتاباته على إخوانه النصارى مغالاتهم في حب اللغة العربية، والشغف بها، وجمع كتبها، يقول:

"إن أبناء طائفتي... لا يعرفون سوى العربية وآدابها، إنهم يقرأون ويدرسون الكتب العربية بنشاط منقطع النظير، ويشكلون منها مكتبات بأثمانٍ باهظة، ويعلنون عن هذه الآداب في كل مكان أنها مدهشة... فيا للألم!

لقد نسي المسيحيون كل شيء حتى لغتهم الدينية(*)، إنك لا تعثر بيننا إلا بجهد عن واحد بالألف يعرف –كما يجب– كتابة تحرير إلى صديق باللغة اللاتينية، أما إذا كان الغرض الكتابة في العربية فإنك تجد جمهرة من الأشخاص يعبرون على وجه موفق وبلباقة فائقة في هذه اللغة، وسترى أنهم ينظمون أشعارًا، تفْضل –من وجهة نظر الفن– التي ينظمها العرب أنفسهم" (بروفنسال، (د.ت)، ص80).

لم يُطبق المسلمون سياسة الإقصاء على نصارى أهل الذمة، بل على العكس من ذلك، عيّنوهم في الوظائف الإدارية والمالية المهمة، وأجروا عليهم الرواتب والأرزاق، ولمعت أسماء الكثير منهم في وظائف مرموقة في الدولة (دوزي، (د.ت)).

وتشير النصوص إلى تعيين رجل نصراني في عهد الحكم الرضي (180–206هـ) يدعى **القومس** في وظيفة جمع الجباية والخراج (مجهول، ط1983). كذلك عين الأمير محمّد (238–273هـ) **القومس بن أنْتُنيان** النصراني في وظيفة الكتاب؛ "ليكون صاحب قلم بني أمية وكاتبهم الأعظم" (ابن القوطية، افتتاح، ط1989، ص95)، ووقد ترك أثرًا واضحًا تمثل في التزام الأحد من كل أسبوع عطلة رسمية، وقد استمر العمل بذلك منذ عهد الأمير محمّد حتى أواخر القرن 5هـ (طويل، ط1994).

كذلك مثّل نصارى أهل الذمة أمراء قرطبة وخلفاءها في سفاراتهم مع الممالك الإسبانية في الشمال، ومع الفرنجة، ومع الإمبراطورية البيزنطية، والإمبراطورية الرومانية المقدسة، مثل: **المستعرب Samson**، **والمستعرب Recemundo** المعروف بين الأندلسيين بربيع بن زيد (أبو الفضل، ط1996).

ويشير ابن حيان في مقتبسه –في العديد من النصوص– إلى دور بعض الشخصيات المستعربة في الترجمة بين الخليفة الأموي والسفراء الأجانب، ففي القطعة التي نشرها عبد الرحمن الحجي، التي تخص سنوات من عهد الحكم المستنصر، ذكر في أحداث سنة 360هـ ورود سفارة إفرنجية من بريل صاحب برشلونة، وكان يقوم بالترجمة لهم وللخليفة عنهم بعض القرطبيين المستعربين، "ومعه النفر من كبار النصارى بقرطبة المترجمون" (المقتبس، ط1990، ص63).

كذلك نشط نصارى أهل الذمة في **ترجمة الكتب إلى العربية**، وذلك برعاية السلطات الحاكمة، فقد كلف

---

(*) قد اضطر رجال الكنيسة إلى ترجمة صلواتهم بالعربية؛ ليفهمها المسيحيون. ينظر: علي، كريم (1923). غابر الأندلس وحاضرها. ط1. القاهرة: المطبعة الرحمانية، ص39.

الخليفة عبد الرحمن الناصر (300 – 350هـ) الراهب نيقولا –وكان يجيد اللسان الإغريقي واللاتيني– بترجمة كتاب **ديسقوريدس** في الطب بالتعاون مع مجموعة من الأطباء المسلمين الذين يجيدون اللغتين (اللاتينية والإغريقية)؛ لتصحيح أسماء العقاقير والأعشاب، وتعيين أشخاصها في البيئة الأندلسية، ويذكر –أيضًا– أن قاسم بن أصبغ البياني ترجم بالاشتراك مع **المستعرب الوليد بن الخيزران**، وبتكليف من الحكم الثاني عندما كان وليا للعهد، كتاب التاريخ لهروشيش، كذلك ألف الأسقف غوتمار بتكليف من الحكم المستنصر كتابًا في التاريخ تناول فيه أخبار ملوك الفرنجة، كما أن الأسقف ربيع بن زيد قام بالاشتراك مع الطبيب العربي عَريب بن سعد بن عَريب بتأليف المعجم العربي اللاتيني، المعروف بتقويم قرطبة أو التقويم القرطبي (الوراكلي، ط1994).

وقد امتدح دوزي تسامح العرب مع نصارى إسبانيا، وعدَّ حالهم أفضل مما كانوا عليه في ظل حكم القوط قائلًا: "لم تكن حال النصارى في ظل المسلمين شديدة الوطأة إذا هي قورنت بما كانوا عليه من قبل" (المسلمون في الأندلس، (د.ت)، ص48).

ولكن على الرغم من ذلك، فقد كان لنصارى أهل الذمة **دور سلبي** فيما عانته الأندلس من فوضى واضطراب في عصر الإمارة؛ وذلك بسبب تعصبهم لأصلهم الإسباني، فتحالفوا مع المولدين الذين استغلوا فرصة ضعف الدولة الأموية في الفترة من أواخر عهد الأمير محمّد، حتى أوائل عهد الأمير عبد الرحمن الثالث، وثاروا في نواح متعددة من الأندلس ضد السلطة المركزية في **طليطلة، والبيرة، وريه**، حيث شكلت ثورة عمر بن حفصون أخطر هذه الثورات، أما فيما يخص قرطبة العاصمة فقد كانت القبضة الأمنية قوية، وبالتالي لجأ النصارى إلى أسلوب آخر للتعبير عنن تذمرهم من الحكم العربي (حركة الاستشهاد)[*].

ولكن لماذا أعلن **نصارى أهل الذمة** عن غضبهم وتذمرهم من الحكم العربي وانحازوا إلى المولدين، وخاضوا حروبًا دامية، خسروا فيها الرجال والأموال. النصوص التاريخية لا تسعفنا كثيرًا عند محاولتنا رسم صورة للوضع وتقصي الحقائق، فلم يكن هناك **اضطهاد ديني** واقع على النصارى من العرب، ولم يُجبر الإسبان على اعتناق الإسلام بالقوة، ولم يُوضعوا في محك صعب بأن خيروا فيه بين الإسلام والاسترقاق ومصادرة

---

[*] نلفت الانتباه إلى أن ما حدث في قرطبة من تحرك نصراني، كان قد سبق مشاركة نصارى المدن الأخرى إخوانهم الإسبان (المسالمة والمولدين) ثوراتهم ضد الحكم الأموي.

الممتلكات مثلما حدث لليهود في العهد القوطي.

ولم تكن **الضرائب** (الجزية والخراج) مجحفة، ولم تُرصَد نصوص تشير إلى فرض الجزية على من أسلم من الإسبان، مثلما حدث في أماكن أخرى من العالم الإسلامي (المغرب مثلاً)، ولم نسمع عن ضرائب إضافية فُرِضت على النصارى! ومن خلال ما ذكره ابن القوطية في افتتاحه لأحداث عام 260هـ يمكننا القول: إنَّ الأوضاع الاقتصادية اضطربت إثر حدوث مجاعة كبيرة في الأندلس، عجز فيها المزارعون –وكان أغلبهم من سكان البلاد الأصليين– عن دفع (**العشور**)؛ مما أدى إلى التذمر وإعلان العصيان، وكان أول من بادر إلى شق عصا الطاعة عبد الرحمن بن مروان الجليقي، وسعدون السرنباقي من المولدين، ولكن العبارة الآتية يُفهم منها أن تذمر الجليقي والسرنباقي لم يكن ضيقًا من سوء الأحوال الاقتصادية فقط: "وتضافرا على الشرك، وأحدثا في الإسلام أحداثًا عظيمة يطول ذكرها، وصارا في القفر بين الإسلام والشرك" (ابن القوطية، ص100)، أي أظهرا ميلًا إلى النصارى الإسبان، أو بمعنى آخر طفت على السطح –رغم إسلامهم– الروح الوطنية، والشعور بأن إسبانيا بلدهم، وأن العرب دخلاء عليها؛ فكانوا لا يتورعون عن طلب العون من ملك جليقية لتحقيق ذلك، وقد أكد ابن حيان على تحالف الإسبان (نصارى ومسالمة) ضد العرب قائلاً: "وتحزبت المسالمة مع المولدين، وتميزت إليهم نصارى الذمة، فصار الجميع إلبًا(*) على العرب" (المقتبس، تحقيق العربي، ص73)، ومما يؤكد أن الإسبان كانوا يتوقون للخلاص من الحكم العربي أن عمر بن حفصون عندما أعلن ثورته استطاع استقطاب العديد من الثوار، وأصبحوا داعمين لحركته عندما مناهم بالتحرر من العرب، فقد كان يقول لهم: "طالما عنفكم السلطان، وانتزع أموالكم، وحملكم فوق طاقتكم، وأذلتكم العرب واستعبدتكم، وإني أريد أن أقوم بثأركم، وأخرجكم من عبوديتكم" (البيان، ط1983). ويشير ابن عذاري في موضع آخر من بيانه إلى المعنى نفسه فيقول: "وتألب على أهل الإسلام أهل الشرك ومن ضاهاهم من أهل الفتنة، الذين جردوا سيوفهم على أهل الإسلام" (البيان، 121/2)، ويرى سيركور –وهو أحد المؤرخين المنصفين– أن حالة النصارى في عهد بني أمية كانت طيبة، ومن ثمَّ فإنه ليس هناك سبب للشكوى والتذمر، يقول: "إن التحديات التي كان يقوم بها المستعربون للحكم الإسلامي، والتي كانت تبلغ –في بعض الأحيان– حدًّا كبيرًا من الجرأة، لم تدفع أمراء

(*) ألَبَ القوم إليه، أتوه من كل جانب، وهم عليه إلب: مجتمعون عليه بالظلم والعداوة. ينظر: الزاوي، الطاهر أحمد (1984). مختار القاموس. بيروت: الدار العربية للكتاب، ص26.

البيت الأموي إلى التخلي عن سياستهم الرحيمة نحوهم" (نقلًا عن: حومد، ط1988).

## حركة شهداء قرطبة:

يلخص أرينال الباحث في التاريخ الأندلسي هذه الحركة بأنها: "حركة قامت بها جماعة من المسيحيين، استفزهم الانحسار المتناهي للهوية الدينية والثقافية، فقامت بمحاولة لدعم المسيحيين، تمثلت في توجيه السباب للإسلام علانية؛ مما أدى إلى إبطال العمل بعهد الذمة" (أرينال، ص38).

وهذه الحركة بمسمياتها المتعددة في كتب التاريخ الأندلسي الحديثة: **موجة التعصب الديني**، **حمى الاستشهاد**، **شهداء قرطبة**، حركة انفردت المصادر اللاتينية والإسبانية بذكرها والحديث عنها، وذلك بالاعتماد على كتابات اثنين من القسس اللذين عاصرا الحركة وهما: **ايولوجيو وألفارو**، بينما تصمت مصادرنا الأندلسية عن الإشارة إليها ولو إشارات عابرة، فالمؤرخ المجهول في أخباره، وابن القوطية في افتتاحه –وهما من أقدم المؤرخين– لم يأتيا على ذكر هذه الحركة، وكذلك كل المؤرخين الأندلسيين، بل إننا نعجب كل العجب من ابن حيان –وهو عمدة المؤرخين الأندلسيين– فهو في مقتبسه اهتم بذكر تفصيلات دقيقة تخص التاريخ الأندلسي، ولكنه عند هذه الحركة نراه يلتزم الصمت التام، وكأن شيئًا لم يكن في قرطبة حاضرة الأندلس، وكذلك ابن عذاري في بيانه "الحولي" أتى على ذكر أشياء مهمة: كالكوارث الطبيعية، والمجاعات، والوفيات، ولكنه هو الآخر لم يكترث بما حدث في قرطبة، والإعدامات التي جرت بحق النصارى في الفترة من أواخر عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط 235هـ، حتى السنوات الأولى من عهد الأمير محمّد 244هـ، وهي السنة التي خمدت فيها الحركة بإعدام رمزها المحرض عليها أيولوجيو، فلماذا هذا الصمت المطبق من جانب مؤرخينا؟ هل كان متعمدًا لدوافع دينية فلم ترصده وثائق العصر لأن فيه إساءة إلى الرسول (ﷺ)؟ أم أن الحركة لا وجود لها أصلًا إلا في خيال القسس القابعين في كنائسهم وأديرتهم؟ والذين كانوا بمعزل عن حياة العامة في قرطبة التي كان يسودها الود والتسامح، سنحاول في الصفحات الآتية تتبع هذه الحركة وبيان أسبابها ونتائجها، وينبغي أن نلفت الانتباه هنا إلى أن معلوماتنا عن هذه الحركة مستقاة –في المقام الأول– من القس الكاثوليكي المتعصب أيولوجيو، وكذلك القس ألفارو الذي عاش في الفترة نفسها، وعليه فإن كل ما كُتب عن هذه الحركة يمثل وجهة النظر المسيحية المتعصبة، ولذلك ينبغي الحذر والتثبت في قبول هذه الروايات.

كان نصارى الذمة في قرطبة يتمتعون بمركز يفضل كثيرًا ما حصل عليهم إخوانهم نصارى المدن

الأندلسية الأخرى، بل إن ما تحصلوا عليه لم يكونوا يحلمون به في العهود السابقة (الرومانية، والوندالية، والقوطية) حيث احتل الكثير منهم وظائف مهمة في الدولة، وجمع العديد منهم ثروات طائلة، بل كان بعضهم سفراء مثلوا الحاكم الأموي المسلم.

وقد أشار **دوزي** إلى التحسن الذي أحدثه الفتح الإسلامي في أوضاع البلاد الاقتصادية والاجتماعية، ولكنه فتش في ثنايا ذلك التحسن، وذكر بعض النقاط التي اعتبرها مساوئ أضرت بالمسيحيين، وألجأتهم إلى التذمر في القرن 3هـ/9م وتتلخص في:

1- اعترف بأن الحرية الدينية كانت "مطلقة"، ولكنه رأى أن الكنيسة كانت تقاسي "**المذلة الصارمة**"؛ لأن حق دعوة المجامع الدينية للانعقاد وتعيين الأساقفة وخلعهم انتقل من ملوك القوط إلى حكام بني أمية، ووجه المذلة الذي عناه دوزي هو أنه أصبح للإسلام كلمة على المسيحية في الأندلس.
2- لمَّا ثبتت دعائم الحكم الإسلامي لم يعد العرب يراعون العهود والمواثيق، كما كانوا يراعونها من قبل، وأُرغم النصارى على بيع نصف بيعهم.
3- مصادرة أملاك بعض النبلاء النصارى.
4- زيادة الضرائب على النصارى، وذلك بتحريض من الفقهاء المسلمين.
5- إرغام النصارى على الختان.
6- تعالي العرب وتكبرهم على غيرهم من عناصر المجتمع الأندلسي (دوزي، (د.ت)).

وسنحاول بما توفر لدينا من نصوص تاريخية الرد على دوزي، وبيان أن حال النصارى كان جيدًا، لا يدعو إلى التذمر وإعلان العصيان كما حدث في بعض المدن الأندلسية في القرن الثالث الهجري.

من المعروف أن العرب عندما فتحوا الأندلس استدلوا بما فعله أبو عبيدة الجراح وخالد بن الوليد عن رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) من مشاطرة النصارى كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحًا، فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة في كنيستهم العظمى، وابتنوا في ذلك الشطر مسجدًا جامعًا، وبقي الشطر الثاني بيد النصارى، فلما كثر المسلمون وازداد عددهم، خاصة بعد دخول القوة الشامية، ضاق عليهم ذلك المسجد، فلما استقر الأمر لعبد الرحمن الداخل قرر توسعة المسجد، فأحضر نصارى قرطبة، وسألهم بيع ما بقي في أيديهم من الكنيسة؛ وفاءً بالعهد الذي صولحوا عليه، واتُفِق على أن يتنازل له النصارى عن الشطر

الآخر من الكنيسة مقابل مائة ألف دينار، وأذن لهم بإعادة بناء الكنائس التي كانت قد هدمت زمن الفتح (ابن عذارى، ط1983)، وذلك يعني أن الداخل أنصف النصارى، واحترم العهود والمواثيق التي أبرمها معهم أسلافه.

وبشأن مصادرة أملاك بعض أشراف العجم، فإن دوزي يستند في ذلك إلى بعض **الحالات الفردية،** منها: أمر عبد الرحمن الداخل بمصادرة أملاك أرطباش بن غيطشة، وملخص هذه القصة –كما يرويها ابن القوطية– أن الأمير نظر في بعض غزواته إلى قبة أرطباش، فوجد حولها أكداسًا من الهدايا التي أتته من ضياعه، "فَنفِس ذلك عليه"، فأمر بقبض ضياعه ومصادرتها، فلما ساءت حال أرطباش قصد قرطبة وطلب مقابلة الأمير، فلما رآه في هيئة رثة قال له: "يا أرطباش، ما بلغ بك ها هنا؟ فقال: أنت بلغتني ها هنا، وحلت بيني وبين ضياعي، وخالفت عهود أجدادك بلا ذنب يوجب ذلك علي"، فأمر الداخل برد عشرين ضيعة من ضياعه، وكساه ووصله وولاه القماسة، فكان أول قومس بالأندلس (افتتاح، ص57) أي أن الداخل رد لأرطباش اعتباره، وحفظ العهود التي أبرمها طارق بن زياد مع أولاد الملك غيطشة، وأقرها الخليفة الوليد بن عبد الملك.

أما زيادة الضراب على النصارى فلا يوجد ما يثبتها من النصوص، اللهم ما ذكره صاحب ذكر بلاد الأندلس الذي قال: إن الأمير المنذر (273–275هـ) "عقد الدنانير على نصارى الذمة" (مؤلف مجهول، ط1983، ص150) ويعد ذلك من الحالات الاستثنائية؛ لأن ابن عذاري يذكر أن المنذر عندما بُويِعَ "تحبب إلى أهل قرطبة والرعايا بأن أسقط عنهم عشر العام، وما يلزمهم من جميع المغارم" (البيان، 114/2).

أما إرغام النصارى على ختان أطفالهم، فإن كان حدث، فإن ابن عبدون في رسالته في الحسبة يبرره بقوله: "فهم متبعون بزعمهم لسنن عيسى، وعيسى قد اختتن، ولهم في يوم ختانه عيد يعظمونه، ويتركون ذلك" (ثلاث رسائل في آداب الحسبة، ط1955، ص49). هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن بعض المراجع الحديثة تذكر أن بعض **نصارى الذمة** كانوا يقلدون العرب في الكثير من الأشياء، من ضمن ذلك ختان الأطفال (الحجي، أندلسيات، ط199).

وبخصوص حرمان النصارى من تقلد الوظائف الكبرى، فإن الكثير من الروايات التاريخية تدحض هذا القول، وتشير إلى تقلد بعض نصارى الذمة وظائف ومهام جليلة القدر، مثل: ربيع بن زيد الذي كان سفيرًا، مثَّل قرطبة في أكثر من مناسبة، وقومس بن أنتنيان الكاتب الأعظم زمن الأمير محمّد، وغيره من الأمثلة.

مجلة كلية الآداب ـــ جـامعة بنـغازي
العدد 48 (أغسطس 2020)
ISSN : 2523 – 1871(online)
الصفحة 157

## بداية الحركة:

### الأسباب:

تُجمِع المراجع الحديثة التي تصدت لدراسة هذه الحركة على أن تعصب بعض القساوسة في قرطبة كان السبب الرئيس والمباشر لقيامها، حيث ساءهم إقبال إخوانهم النصارى على تعلم العربية وإتقانها، وتقليد العرب في عاداتهم وتقاليدهم، وانسلاخهم عن هويتهم الإسبانية.

ووفقَ ما ترويه بعض المراجع الأجنبية، فإن هذه الحركة كانت في قرطبة –حاضرة الإسلام في الأندلس– تزعمها راهب إسباني يدعى **أيولوجيو**، ينحدر من أسرة قرطبية، عُرفت بغناها وعراقة أصلها ومقتها للمسلمين وتعلقها الشديد بالنصرانية، وقد نشأ أيولوجيو منذ صغره بين قساوسة كنيسة القديس **زويل**، وكان منكبًا على الدراسة، وكثير التردد على **دير سبيرا ان ديو**، حيث تلقى عن رئيس هذا الدير كتابه الذي ألفه في تفنيد العقيدة الإسلامية، وفي هذا الدير تعرف على شاب غني من نصارى قرطبة يدعى **ألفارو** (دوزي، (د.ت))، وللأسف فإن أيولوجيو وألفارو وقعا ضحية التعصب الأعمى لرئيس الدير، حيث أفسد روحهما، وبث فيهما كراهية عميقة للإسلام والمسلمين، ويمكننا القول: إنَّ خطاب الكراهية ضد الإسلام في الأندلس كان يختبئ وراءه بعض القسس المتعصبين، الذين استقوا معلوماتهم عن الإسلام وحياة الرسول (ﷺ) من كتب لاتينية تعمدت الإساءة، ونستغرب هنا من عدم رجوع هؤلاء إلى المؤلفات العربية التي كان يمكن الحصول عليها بيسر وسهولة، وفهم محتواها؛ لإجادتهم العربية، واستقاء المعلومات الصحيحة منها.

ويشير غارودي إلى أن أيولوجيو عندما كان في دير لاير بنافار وقع في يده مخطوط لاتيني مليء بمعلومات تسيء للرسول (ﷺ) وللإسلام، فقد كتب أيولوجيو في كتابه ثبت الشهداء: "عندما كنت في دير لاير أخذت علمًا، بهدف الرغبة في الاطلاع، بجميع الكتب التي كانت قد جمعت فيه، قارئًا ما كان مجهولًا لدي، وفجأة في مؤلف صغير مجهول كاتبه، اكتشفت أحدوثة عن نبي شؤم" ويقصد بذلك ترجمة مروعة عن حياة محمد (ﷺ)، اختصرها أيولوجيو بعد ذلك بملخص أرسله إلى أصدقائه في قرطبة وإشبيلية، ودعا بالسعي لمحاربة النبي الدجال، وكذلك كتب أيولوجيو كتبًا أخرى مثل: ذكرى القديسين، ووثيقة الاستشهاد (غارودي، 1995).

وبما أن قرطبة كانت عاصمة الحكم الأموي، وكانت القبضة الأمنية فيها محكمة، فقد استحال على

النصارى القيام بثورة، أو المشاركة إلى جانب المسالمة والمولدين كما حدث في: **طليطلة**، **وإلبيره**، **وريه**، وبالتالي قررت جماعة القس المتعصبة سلوك سبيل آخر في النضال، ألا وهو سبيل الاستشهاد.

بدأت المشكلة كما جاء في كتابات أيولوجيو في أواخر عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (206–238هـ)، وكان المكان أحد أكبر شوارع قرطبة، حيث حصل نقاش حول العقيدة بين جماعة من المسلمين والقس **برفكتس** من كنيسة القديس **اسيسكل**، وعندما احتد النقاش حول محمد (ﷺ) وعيسى عليه السلام، قام القس بشتم الرسول (ﷺ) والتفوه بألفاظ مسيئة، كان فيها تعصب واضح ضد الدين الإسلامي، مما أثار غضب جمهرة الحضور من المسلمين الذين ساقوا القس إلى القاضي، وطالبوا بالقصاص منه، وعبثًا حاول القاضي إرجاع القس عن أقواله، وإزاء العناد المنقطع النظير من القس أصدر القاضي حكمًا بإعدامه على تجاوزه وتجرئه على المقدسات الإسلامية.

وقد نفذ نصر الخصي الحكم في أول أيام عيد الفطر عام 235هـ أمام جموع المسلمين في قرطبة، فكانت هذه الحادثة الشرارة التي أطلقت موجة التعصب الديني التي دفعت عددًا من المتعصبين إلى السب والشتم بحق الرسول (ﷺ)، حتى يلقوا مصير برفكتس نفسه، فتُسَجَّل أسماؤهم في سجل القديسين (دوزي، (د.ت)).

وهنا لابد لنا من الوقوف قليلًا عند صدور حكم الإعدام بحق المجذف المسيحي، هل كان حكمًا عادلًا وجزاءً وفاقًا أم كان عكس ذلك؟

إن "عقد عهد الذمة" الذي كان يبرم بين الفاتحين وسكان البلاد المفتوحة، كان ملزمًا للمسلمين، وعليهم احترامه والوفاء به ما لم ينتهكه الذمي، ومن ضمن الحالات التي يعتبر فيها العقد لاغيًا:

1- الكفر بالله تعالى وذكره بما لا يليق بجلالته.
2- ذكر كتابه بما لا ينبغي.
3- ذكر دينه بما لا ينبغي.
4- ذكر رسوله بما لا ينبغي (حومد، 1988).

وعليه لا نستغرب أن يحكم القاضي المسلم بالإعدام على المسيحي الذي أقدم على سب الرسول (ﷺ) والدين الإسلامي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الحكم ذاته كان يصدر بحق أي مسلم يتهم بالزندقة،

أو الاستهزاء بالدين(*).

وعلى العموم فإنه بعد إعدام برفكتس واعتباره شهيدًا من قِبل نصارى قرطبة وإقامة جنازة مهيبة له، زادت الرغبة في الاستشهاد بين المسيحيين، وذلك بتحريض من أيولوجيو وألفارو، ومما زاد في تأجيج موجة التعصب الديني إعدام الفتاة **فلورا** وزميلتها عام 237هـ، وفلورا كما جاء في المراجع التي تمثل الجانب المسيحي، فتاة قرطبية من أب مسلم وأم نصرانية، مات أبوها وهي طفلة، فنشّأتها أمها على المسيحية، وكانت على اتصال بأيولوجيو ومتأثرة بأفكاره المتعصبة ضد الإسلام، وقد قام القاضي بسجنها وزميلتها؛ أملًا في الرجوع عن موقفهما، ولكنهما استمرتا في شتم الرسول (ﷺ) والإساءة إلى العقيدة الإسلامية علنًا وأمام القاضي، فكان لابد من إعدامهما (دوزي، (د.ت)).

قد كان يغذي هذه الحركة ويزيد من تصاعدها –على حد تعبير **بروفنسال**–: "مسيحيون مهووسون يرفضون أن يتراجعوا عن القدح في معتقد ساد البلاد" (حضارة العرب، ص79). أما المسيحيون المعتدلون فقد انزعجوا من هذا التعصب، وكانوا في قرطبة في رغدٍ من العيش، فاعتبروا هؤلاء المهووسون جماعة تطلب الانتحار، وأن ما يفعلونه ليس استشهادًا في سبيل المسيحية، وكان الحل لهذه المشكلة يستدعي عقد مجمع ديني يصدر قرارًا، يمنع نصارى قرطبة من السعي وراء ما يسمونه بالشهادة، ولذلك دعا الأمير عبد الرحمن الأوسط جميع أساقفة الأندلس للاجتماع، ومثله فيه المستعرب قومس بن أُنْتَنيان.

انعقد المجمع برئاسة أسقف إشبيلية "**ريكافريدو**"، وأعلن المجتمعون –باستثناء أسقف قرطبة "**شاول**"– استنكارهم لتلك الحركة الانتحارية، ولكن أيولوجيو وأنصاره لم يتوقفوا عن التحريض، فقامت السلطات الأموية باعتقال عدد من الشباب والشابات، كان من بينهم أيولوجيو(*)، ولكن ذلك لم يُجْدِ نفعًا، فلم يتوقف النصارى

---

(*) نسوق هنا حادثة وقعت في عام 458هـ للتدليل على هذا القول، كان هناك رجل مسلم يسمى "عبد الله بن أحمد بن حاتم الأزدي الطليطلي"، وكان شخصًا مقبول الشهادة لدى قاضي طليطلة "أبي يزيد عبد الرحمن بن عيسى الحشا" وعلى الرغم مما كان يتمتع به من ثقة، فقد أُخِذَ بشهادة ستين شاهدًا أنه كان يتفوه بعبارات التهكم والسخرية في حق الرسول (ﷺ) وآل بيته الكرام وخاصة السيدة عائشة، وقد اعتبرت الألفاظ والأوصاف التي نال بها هؤلاء من القباحات، وقد شاور القاضي فقهاء طليطلة، فأجمعوا على وجوب قتله بعد إعذاره (استتابته)، وقد نالت الملاحقة القضائية هذا الرجل حتى نُفّذ فيه حكم الإعدام. ينظر: الأندلسي، ابن سهل (1981). ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس مستخرجة من الأحكام الكبرى. تحقيق محمّد بعد الوهاب خلاف. ط1. القاهرة: المركز العربي الدولي للإعلام، ص103.

(*) يشار إلى أن القاضي في قرطبة أصدر أمرًا بالقبض على أيولوجيو بتهمة التحريض على التنصر بين الفتيات المسلمات، وإيوائهن بعد فرارهن من ذويهن، وتقديم أنفسهن للموت. ينظر: عبد الحليم، رجب محمّد (د.ت). العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف. القاهرة: دار الكتاب المصري، ص85.

عن حركتهم، بل بلغت الجرأة بالمتعصبين حدًّا جعل بعضهم يقتحم مسجد قرطبة، ويشتم مقدسات المسلمين على رؤوس الأشهاد؛ مما أدى إلى إلحاقهم بمن سبقوهم (دوزي (د.ت)؛ نعني، (د.ت)).

في عام 238هـ توفي الأمير الأوسط دون أن يتمكن من حل المشكلة حلًّا جذريًّا، فحاول ابنه الأمير محمّد أن يعالجها بطريقة أكثر لينًا، فأمر بإطلاق سراح السجناء، وسمح لأيولوجيو بمغادرة قرطبة، فتوجه إلى **طليطلة**، واستمر في ممارسة دوره التحريضي، فكان له دور في ثورة المستعربين الذين انضموا إلى المولدين، وتحالفوا مع الملك الإسباني **أردونيو الأول** (دوزي، (د.ت)).

غاب أيولوجيو عن قرطبة فترة من الزمن، ولكنه عندما عاد إليها قرر طلب الشهادة؛ لأن أغلب نصارى قرطبة من فئة المتعصبين كانوا قد ملوا وجنحوا للمهادنة، فتعمد التلفظ أمام القاضي بكلام وعبارات مسيئة[*]. فعرض القاضي أمره على الوزراء، ولكنه لم يتراجع أمامهم عن أقواله، فما كان من القاضي إلا أن أصدر حكم الإعدام عليه، ونُفِّذ الحكم عام 244هـ، ويشير دوزي إلى أن المسلمين رغم كل شيء، كانوا يشفقون على المتعصبين المسيحيين ويكرهون قتلهم (دوزي، (د.ت))

بمقتل أيولوجيو خمدت الحركة بعد أن فقدت أحد أهم رموزها، وشيئًا فشيئًا عادت الأمور إلى ما كانت عليه بين المسلمين والنصارى في قرطبة.

وعلى الرغم من تجاهل مصادرنا الأندلسية هذه الحركة التي استمرت حسب تقدير المصادر المسيحية من سنة 235هـ حتى 244هـ، والتي كانت صدى لخطاب الكراهية ضد الإسلام في الأندلس، فإنه في أواخر القرن الثالث الهجري، وبعد انتهاء الحركة بنحو نصف قرن، نقع على **نصين مهمّين** يشيران إلى تعصب بعض نصارى أهل الذمة في قرطبة وتحاملهم على الإسلام، رغم التسامح الكبير الذي أبداه العرب في تعاملهم معهم، وهذان النصان ورد ذكرهما في كتاب قضاة قرطبة للخشني، والأحكام الكبرى لابن سهل.

**النص الأول:** امرأة نصرانية تدعي ربوبية السيد المسيح وتنفي نبوة محمّد (ﷺ):

وملخص هذه الحادثة أن امرأة نصرانية تدعى **ذبحة** دخلت مجلس قاضي الجماعة بقرطبة أحمد بن محمّد بن زياد في ولايته للقضاء ما بين (291–300هـ)، وأعلنت أمام الجميع أن عيسى هو الله تعالى، وأن محمّدًا (ﷺ) كذب فيما ادعاه من نبوة، وقد شهد الحضور على قولها، وعندما عُرِض الأمر على الفقهاء انتهوا

---

(*) يشار إلى أن القاضي في قرطبة أصدر أمرًا بالقبض على أيولوجيو بتهمة التحريض.

إلى تعجيل قتلها (ابن سهل، (د.ت)).

**النص الثاني:** رجل نصراني يطلب من القاضي قتله مدعيًا أنه سيرفع إلى السماء:

يورد الخشني قصة حول تعصب بعض نصارى قرطبة، واعتقادهم أنهم عندما يُقتلون في سبيل السيد المسيح سيرفعون إلى السماء، فقد تقدم أحد النصارى إلى القاضي أسلم بن عبد العزيز في ولايته للقضاء ما بين (300–309هـ) طالبًا تقديمه للموت، قائلًا للقاضي: "أتتوهم أنك إذا قتلتني أني أنا المقتول؟ فقال له القاضي: ومن المقتول إذًا؟ فقال النصراني: شبهي يلقى على جسد من الأجساد فتقتله، أما أنا فأرفع من تلك الساعة إلى السماء"، وعندما لم يجد القاضي حيلة في إقناعه بعدم صحة ذلك، أمر أعوانه بتجريد الرجل من ثيابه وإلهاب ظهره بالسياط، فأخذ الرجل يصيح ويتألم، حينئذ سأله القاضي: "في ظهر من تقع هذه السياط؟ فقال الرجل: في ظهري، فقال القاضي: وكذلك السيف، والله لا يقع إلا في عنقك، فلا تتوهم غير ذلك" (الخشني، 1994، ص158).

إن ما قام به الرجل النصراني، وكذلك المرأة النصرانية، يعتبر صورة من صور التعصب المسيحي في الأندلس، الذي لا يمكن إنكاره بسبب المعلومات المغلوطة والمشوهة عن الإسلام، التي كان يبثها بعض القسس لمحاولة الحد من انتشاره، ولكن هل يمكن اعتبار طلب الرجل النصراني من القاضي قتله ليضاف لقائمة شهداء المسيحية استمرارًا لحركة الاستشهاد وذيلًا لها؟

إذا كانت الإجابة **نعم**، فإن ذلك يعني وجود الحركة أصلًا، وأنه بعد مرور سنوات على إعدام رمزها أيولوجيو عام 244هـ مازالت مشتعلة في قلوب بعض المتعصبين المسيحيين، وإن كانت الإجابة **لا** فإن ذلك يعني أن ما حدث في أواخر القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع الهجري لا علاقة له بما أوردته بعض المصادر المسيحية عن حركة الاستشهاد، وأنها كانت أمرًا يتوقع حدوثه في مجتمع تعايشت فيه أديان متعددة، وتقاسم معتنقوها الأرض والخيرات، وقامت بينهم علاقات كان فيها من الطبيعي أن يتناقشوا حول معتقداتهم، ويحاول كل طرف أن يقنع الآخر بصحة معتقده، وكان من الطبيعي –أيضًا– وجود نصارى متعصبين، لم يكن بوسعهم تقبل الدين الجديد الذي دخل بلادهم، وجعل الكثير من مواطنيهم يتحولون إليه.

ونختم القول: إنَّه إذا كان لهذه الحركة وجود، وأنه لو رُصِدت حالات مهووسين نصارى قاموا بشتم الرسول (ﷺ) والإسلام في عصر القوة (عصر الإمارة الأموية 138–399هـ) لما تأخر مؤرخ حولي مدقق

كابن عذاري عن إيرادها، خاصة إذا علمنا أنه قام في عصر الضعف (عصر الفتنة القرطبية 399–422هـ) برصد حالة مهووس نصراني يقف في أعظم شوارع قرطبة ويشتم الرسول (ﷺ) فلا يعيره العامة أي اهتمام، ولأهمية النص نسوقه هنا للتدليل على ما نقول: "وبلغ من استخفاف أهل قرطبة بالإسلام في هذه الفتنة أن رجلًا نصرانيا وقف في أعظم شوارع قرطبة، فنال منه (ﷺ)، فلم يكلمه أحد منهم بكلمة، فقال رجل من المسلمين غيرة للنبي: ألا تنكرون ما تسمعون؟ أما أنتم مسلمون؟ فقال له جماعة من أهل قرطبة: امضِ لشغلك، وكان الإفرنج(*) إذا سمعوا الآذان للصلاة يقولون قولًا لا يذكر فلا يعترض عليهم أحد بشيء" (ابن عذاري، 97/3).

وكما يبدو فإن سبب هذه الجرأة المتناهية التي كان عليها نصارى قرطبة والفرنجة الذين استعان بهم المهدي ضد المستعين في وقعة عقبة البقر عام 400هـ، حالة الفوضى التي كانت تعيشها المدينة؛ بسبب الصراع على السلطة، وانعدام الأمن، وانتشار الفوضى، واستعانة الأطراف المتنازعة بنصارى الشمال، الأمر الذي أدى إلى استهانة النصارى بالمسلمين وتطاولهم على المقدسات.

**نتائج الحركة:**

تشير بعض المراجع التي تؤمن بوجود الحركة –على الرغم من تجاهل مصادرنا الأندلسية لها– إلى أنها حركة ذات أبعاد سياسية وقومية، تناولت مسألة الوجود العربي الإسلامي في الأندلس، وأنها أسفرت عن نتائج تمثلت في الآتي:

1- ازدياد تعقد علاقة الدولة الأموية مع الدويلات المسيحية في الشمال ومع الفرنجة.
2- تنافر عناصر المجتمع الأندلسي.
3- إعاقة حركة الاستعراب.
4- إحياء مفاهيم ومثل دينية ووطنية ولغوية في ضمائر الإسبان (نعنعي، (د.ت)).

**ونافلة القول:** بدأت هذه الحركة –التي يحلو للبعض تسميتها بحركة الاستشهاد وربطها بالتضحية في سبيل السيد المسيح– أواخر عهد الأمير الأوسط بإعدام القس برفكتس عام 235هـ، وانتهت تقريبًا بإعدام أيولوجيو عام 244هـ في عهد الأمير محمّد، أي أنها استمرت بضع سنوات، وراح ضحيتها أربعة وأربعون

---

(*) يقصد ابن عذاري بالفرنجة قوات الكونت رامون بوريل أمير برشلونة، وأمير أورقلة الكونت أرمنجو الذين استعان بهم المهدي ضد المستعين سنة 400هـ في وقعة عقبة البقر، ينظر: البيان، 94/3..

مسيحيا متعصبًا، وكانت الحركة في قلب الدولة الأموية، وصمتت عنها مصادرنا الإسلامية صمتًا يثير الدهشة والاستغراب، وأطنبت المصادر المسيحية في الحديث عنها حتى ليخيل للقارئ أن الحركة تعدت كونها حركة عقائدية إلى حركة سياسية مناهضة للحكم الإسلامي في الأندلس.

## قائمة المصادر والمراجع

**أولاً: المصادر الأولية:**

1. ابن حزم، أبو محمد علي (1949). طوق الحمامة في الألفة والألاف. تحقيق حسين كامل الصيرفي ومحمد العلمي. القاهرة: مطبعة الاستقامة.
2. ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (1990). المقتبس في تاريخ الأندلس. تحقيق إسماعيل العربي. ط1. المغرب: منشورات دار الآفاق الجديدة.
3. ابن حيان (د.ت). المقتبس في أخبار بلد الأندلس. تحقيق عبدالرحمن الحجي. بيروت: دار الثقافة.
4. ابن سهل الأندلسي، أبو الأصبغ عيسى (د.ت). وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى. تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف. القاهرة: المركز العربي للإعلام.
5. ابن سهل الأندلسي (1981). ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس. مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى. تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف. ط1. القاهرة: المركز العربي الدولي للإعلام.
6. ابن عبدون التجيبي (1955). ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب. تحقيق ليفي بروفنسال. القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.
7. ابن عذاري المراكشي (1983). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ج2-3. تحقيق ليفي بروفنسال وج. س. كولان .ط3. بيروت: الدار العربية للكتاب.
8. ابن القوطية، أبو بكر محمد (1989). تاريخ افتتاح الأندلس. تحقيق إبراهيم الإبياري. ط2. القاهرة: دار الكتاب المصري.
9. البكري. أبو عبيد (1968). جغرافية الأندلس وأوروبا منتخبة من كتاب المسالك والممالك. تحقيق عبد

الرحمن الحجي. بيروت: دار الإرشاد.

10. الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث (1994). قضاة قرطبة وعلماء أفريقية. تحقيق عزت العطار الحسيني. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي.

11. المراكشي، عبد الواحد (1949). المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العلمي. ط1. القاهرة: مطبعة الاستقامة.

12. مؤلف مجهول (1883). ذكر بلاد الأندلس. تحقيق لويس مولينا. مدريد.

**ثانياً: المراجع الثانوية:**

13. أبو الفضل، محمد أحمد (1996). دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

14. أبو مصطفى، كمال السيد (1997). بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس. الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.

15. أرينال، مرثيديس غارثيا (2006). شتات أهل الأندلس. ترجمة محمد فكري عبد السميع. ط1. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

16. بروفنسال، ليفي (د.ت). حضارة العرب في الأندلس. ترجمة ذوقان قرقوط. بيروت: منشورات مكتبة الحياة.

17. الحجي، عبد الرحمن (1969). أندلسيات. ط1. بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر.

18. حومد، أسعد (1988). محنة العرب في الأندلس. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

19. الزاوي، أحمد الطاهر (1984). مختار القاموس. بيروت: الدار العربية للكتاب.

20. دوزي، رينهارت (د.ت). المسلمون في الأندلس (المسيحيون والمولدون) ترجمة حسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

21. دويدار، حسين يوسف (1994). المجتمع الأندلسي في العصر الأموي. ط1. القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية.

22. سالم، السيد عبد العزيز (1962). تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس. بيروت: دار المعارف.

23. طويل، مريم قاسم (د.ت). مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح. دار الكتب العلمية.

24. عبد الحليم، رجب محمد (د.ت). العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف. القاهرة: دار الكتاب المصري.

25. علي، كريم (1923). غابر الأندلس وحاضرها. ط1. القاهرة: المطبعة الرحمانية.

26. غارودي، روجيه (1995). الإسلام في الغرب (قرطبة عاصمة العالم والفكر). ترجمة ذوقان قرقوط. ط1. دار دمشق.

27. غوميز، مارغريتا لوبيز (1998). المستعربون. موسوعة الحضارة الإسلامية في الأندلس. إشراف سلمى الخضراء الجيوسي. مركز دراسات الوحدة العربية.

28. نعنعي، عبدالمجيد (د.ت). تاريخ الدولة الأموية في الأندلس (التاريخ السياسي)، بيروت: دار النهضة العربية.

29. الهروس، مصطفى (1997). المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري. المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون العلمية.

30. الوراكلي، حسن (1994). ياقوتة الأندلس. بيروت: دار الغرب الإسلامي.